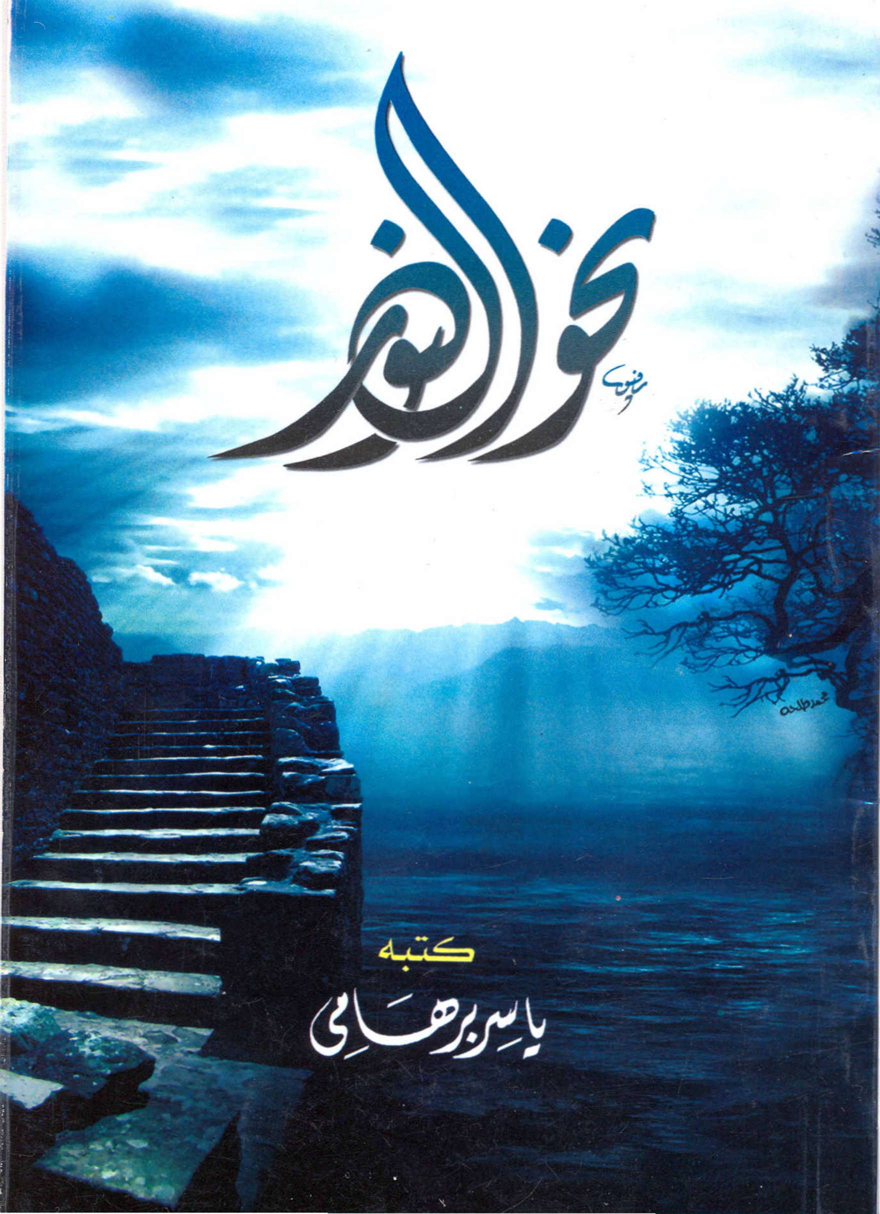

محمد طلحة
كتبه
ياسر برهامي



دار الأمل

للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م



0125950141



جمع وترتيب

ياسر برهامي

دار الأمل

للنشر والتوزيع



المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

ثم أما بعد: فهذه خطبة ألقيتها بمسجد الخلفاء الراشدين بالإسكندرية حول معاني قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

ولما كانت متضمنة لمعاني إيمانية لا يستغنى عنها المسلم أحببنا أن يبقى الانتفاع بها بنشرها فقام بعض إخواننا الأفاضل بكتابتها وراجعتها وعدلت ما يحتاج إلى تعديل عسى الله أن ينفع بها قائلها وكاتبها وقارئها وناشرها وأن يحيى قلوبنا بحبه ويذيقنا نعيم قربه وأن يتم علينا نعمه في الدنيا والآخرة.

ياسر برهامي

الحياة بشرع الله هي النور

فإنَّ الحياة في ظل شرع الله - تعالى - هي الحياة، وإنَّ مخالفة شرع الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - والرضا بغير شريعته هو الموت، الحياة بشرع الله تعالى هي النور، و البعد عن دين الله تعالى هو الظلمات والجهالات!

وكما أنَّ الله قد تفرد بالإحياء والإماتة وبإخراج الحي من الميت والميت من الحي كذلك يفعل بالقلوب لا شريك له، يحي من يشاء بدينه و بوحيه، وبالالتزام بشرعه، ويُبَصّره - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بطرق الهدى، و بحقائق الوجود؛ فيرى ما لم يكن يرى، ويحس ما لم يكن يحس ويعلم ما لم يكن يعلم، وينمو ويكبر كسائر صفات الحي.

ويجعل - تعالى - من يشاء ميتًا لا يعي ولا يدرك ولا يبصر ولا يحس ولا يعلم، يعيش في هذه الدنيا عيشة البهائم السائمة أو الشياطين الماردة!

الحياة بشرع الله تفتح طرق الهدى

والالتزام بشرع الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - والرضا به ربًا آمرًا ناهيًا مشرعًا دون من سواه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يفتح للعبد طرق الهدى والإيمان والحياة والنور.

قال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ
وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ
لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ
(١٢٢) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا
لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ
(١٢٣) وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ
رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ
أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ (١٢٤)
فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن
يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ۚ
كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥)

وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ
(١٢٦) لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ (١٢٧)﴾ [الأنعام: ١٢٢ - ١٢٧].

علاقة الآيات بما قبلها

لقد ذكر الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - قبل هذه الآيات النهي عن ظاهر الإثم وباطنه فقال: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ (١٢٠)﴾

[الأنعام: ١٢٠]

ثم نهى عن أكل الميتة وموافقة المشركين على استحلالها وأنَّ من يدعو غيره للخروج عن شرع الله - تعالى - والرضا بغير هذا الدين الذي شرعه لعباده شيطان يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، وأنَّ من أطاعه في تبديل الشرع واستحلال ما حرم الله وتحريم ما أحل الله - وهو يعلم - مشرك بالله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -؛ عابد له من دون الله وكان في الظلمات.



مثل عظيم

ثم بَيّن - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - هذا المثل العظيم الذي تكرر مرات في القرآن؛ ضربه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - للمؤمن والكافر فقال - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

أو من كان ميتًا بالكفر لا يحس حقائق الإيمان، لا يجد معنىً لحب الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، و لا يذوق طعمًا للشوق إليه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ولا يعرف الخوف منه إلى قلبه طريقًا، ولا يدرك حقائق أسمائه وصفاته ومعانيها العظيمة، ولا يشاهد آثار أفعاله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - في الكون، ولا يدرك البداية ولا النهاية(١)، ولا يعرف شيئًا عن حقيقة وجوده وهدفه وغايته من هذه الحياة؛ إنما يعيش في هذه الدنيا ليأكل ويشرب! إنه يعيش ببدنه أمّا قلبه فميت والعياذ بالله.

---

(١) أي بداية الإنسان والعالم ونهايته.

الإنسان ظاهر وباطن

قد جعل الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بدن الإنسان الظاهر يحتاج إلى الهواء والطعام والشراب ويحتاج إلى التناسل والتكاثر لحفظ نوعه.

إنها رغبات تدل على حاجته، وعلامة من علامات حياته وسبب من أسباب استمراره.

وجعل الله عز وجل باطن الإنسان مستعدًا، قابلًا لمعرفة أنواع العلوم والهدايات، ومعرفة الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بأسمائه وصفاته وأفعاله ومعرفة رسله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بصفاتهم العظيمة، ومحبتهم على ذلك ومتابعتهم، وجعل الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - كذلك فيه أهلية معرفة الملائكة والكتب المنزلة التي هي كلام الله وجعل فيه أهلية فهم هذا الكلام الذي لا يشبه كلام الناس، وجعل فيه كذلك القدرة والأهلية لمعرفة الإيمان باليوم الآخر والقضاء والقدر. وجعل كل هذه أسباب حياته وعلاماتها كذلك!

هذه الأمور بمعرفتها يحيا القلب، ومن لم يكن عنده شيء منها كان ميتًا كما قال - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿وَمَا يَسْتَوِي
ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ (١٩) وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ (٢٠) وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا
ٱلْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ
أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ (٢٢) إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢٣) إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ
بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤)﴾

[فاطر: ١٩- ٢٤]

الكفار أموات

فالكفار هم الأموات والمؤمنون هم الأحياء، والذين هم في القبور هم الكفار قلوبهم دفنت في أجسادهم، لأن الحياة الحقيقية هي حياة القلب، فإذا طغت حاجات البدن على حياة القلب مات ذلك القلب، ولم يعد يعرف ما وُجد من أجله، ولم يعد يعرف إلا ما تعرفه البهائم أو الشياطين!

فكان بدنه قبرًا لقلبه؛ لأنه اهتم ببدنه ولم يهتم بقلبه، ولم يعط قلبه حاجته من الهواء الذي يتنفسه!



ظل كاتمًا أنفاس هذا القلب، ولم يعطه غذاءً ولا شرابًا، تركه هكذا جائعًا عطشانًا لا يجد هواءً يتنفسه حتى مرض ثم مات حين كفر بالله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، حين لم يعرف مُوجده وخالقه، حين عاش يرى الآيات كالشمس وضوحًا ولا يدري ما وراءها، ولا يدري ما تعنيه!.

آيات تبهر العقول الحية

ووالله إن الإنسان في كل لحظة يرى من آيات عظمة الله ووحدانيته وقدرته ما يبهر العقول اليقظة الحية المستنيرة التي استضاءت بنور الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -؛ فتأمل في كل يوم كم يولد فيه من إنسان لم يكن شيئًا مذكورًا!!.

وكم يموت فيه من إنسان كان يملأ الدنيا أمرًا ونهيًا، وذهابًا ومجيئًا، وملكًا وسلطانًا!.

هذا الموت الذي هو سيف مسلط على الجميع غنيهم وفقيرهم، ملكهم ومملوكهم، عزيزهم وذليلهم.

هذا الموت آية من آيات الله!.

آية الشمس

هذه الشمس التي تتأخر في شروقها الآن كل يوم دقيقة واحدة أو تتقدم وكذلك تتقدم في غروبها فيلجُ النَّهارُ في الليل، ويلجُ الليلُ في النهار، من يفعل ذلك؟

من بقدرته أن يأتي بالشمس من المغرب بعد أن أتى الله بها من المشرق؟!.

هكذا يظهر للإنسان حقائق إذا انتبه لها حيي قلبه، واتعظ وتذكر وعلم أنه كما وُلد يموت وأنه إلى الله راجع وأنه بين يديه موقوف، وأنه عند الوقوف مسئول، فليعد للسؤال جوابًا!.

وأدرك - كذلك - ما حوله من الحقائق البينة؛ لكن لروتين الحياة ونظامها المعتاد ينسى الناس هذه الحقائق، وينسون أنهم ذاهبون إلى الموت كلهم، وأنهم بالتالي مملوكون لا مالكين.

لقد وُهِبتَ الحياة أيها الإنسان رغمًا عنك، وسترحل عنها رغمًا عنك لا تملك فيها عزًا ولا ذلًا.



آية البدن

انظر إلى بدنك الذي تعيش به، إنك لا تملك دقات قلبه ولا جريان الدم في عروقه!.

إذا أمر الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أن يتوقف ذلك القلب سكت في لحظة، وقال الناس: مات فلان، وأصابته سكتة قلبية، أو تجمد الدم في عروقه وتجلط؛ فمات عضو منه أو فقد حاسة من حواسه، أو ظهر في جزء من أجزاء بدنه ورم من الأورام!، أين ملك الإنسان؟ أين قدرته؟ أين حياته؟!.

في الحقيقة ما هو إلا عبد مقهور مغلوب!

أين إذًا ادعاؤه أنه حر؟، وأين ادعاؤه بأنه لا يلزمه شرع؟ وأين ادعاؤه بأنه كبير وأنه عظيم وأنه فوق الأمر والنهي نعوذ بالله من ذلك.

***

أومن كان ميتا فأحييناه

وقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ أي: أحياه الله عز وجل بالقرآن، وبالإسلام، وببعثة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فنظر إلى البداية والنهاية، وإلى الأزل والأبد، ونظر إلى وجود الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

صار يبصر، لم يكن له نور؛ فصار له نور ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام:١٢٢].

والحي من صفاته أنه يتحرك والقلب يتحرك ويريد.

الفرق بينك وبين الجدار الذي تستند عليه أو تراه أمامك أنك لك إرادة، وأنك تحتاج إلى ما تقيم به حياتك، وكذلك تنمو وتكبر وكذلك القلوب؛ فهناك قلوب صغيرة جدًا وهناك قلوب أجنة في البطون، وهناك قلوب قد دفنت في القبور وماتت، وهناك قلوب مريضة، وهناك قلوب سليمة، وهناك علامات تفرق بها بين الحي والميت، وهناك قلوب تشعر وتتألم، وهناك قلوب قاسية كالصخور لا تعرف مشاعر ولا تدركها، ولا تدرك ما حولها!!.



انظر إلى قلبك

لذلك نقول لابد وأن تنظر إلى قلبك هل ينمو أم لا؟ هل يكبر؟ هل يتطهر من الإرادات الفاسدة؟.

انظر إلى إراداتك؛ لأنها علامة الحياة، الحياة في إرادة وجه الله عز وجل، وفي محبته، وفي رجائه، وفي الخوف منه، وفي التفكر في الدار الآخرة؛ هذه هي الحياة!

الحياة أن تدرك الصفات الطيبة التي جعل الله لك مثالًا لها في أشخاص الأنبياء تتدبرها في قصصهم الرائع، الذي جعله الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لنا عبرة لأولي الألباب؛ لكي نعرف كيف تكون الحياة؟!.

نتأمل كرمهم وحسن أخلاقهم، وعفوهم وصفحهم، وكيف كان صبرهم وجهادهم وتضحيتهم في سبيل الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

مواقف لا تُحصى كثرة!.

تأمل ندمهم واستغفارهم وتوبتهم ابتداءً من آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى خاتمهم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي جمع الله عز وجل فيه محاسن من قبله، وأعطاه من الآيات ما يؤمن

على مثله البشر كلهم لو اهتدوا، وجعله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - خاتم النبيين وإمام الأنبياء والمرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين.

فَتَذَكَّرْ مواقفه وهي مسطورة في القرآن العظيم وفي سيرته وسنته الشريفة المطهرة!.

تعلَّمْ ذلك لتحيا ولينمو قلبك ويكبر بعد أن كان لا يريد إلا ما يريده أهل اللهو اللعب كالأطفال الصغار من إرادات ضعيفة ورغبات تافهة أو أقل من ذلك عندما يكون جنينًا لا يشعر بما حوله

قلوب لم تولد بعد

فهناك قلوب لم تولد بعد؛ لكنها على أهبة الولادة، فهي ما زالت أجنة في بطون الشهوات وبطون الطباع وبطون التقاليد والعادات التي نشأ الإنسان عليها حتى إذا ولد تحرر من سلطان الشهوات، وصار حرًا منها ومن سلطان العادات والتقاليد التي نشأ عليها.

إن أكثر الناس قلوبهم مأسورة بما نشأوا عليه ويقولون نشأنا كذلك، وجدنا أكثر الناس يسبون فسببنا، وجدنا الناس يشربون المخدرات والخمر فشربنا، وجدنا الناس يطعنون في الحق فطعنا.

كذلك يقول الكفرة: وجدنا آباءنا يعبدون العجول فعبدنا، يعكفون على الأحجار فعكفنا، يعبدون الأشخاص فتابعناهم على ذلك.

الكل يسير على هذا، في أسر العادات والتقاليد وأسر الشهوات وأسر الطباع الإنسانية!.

إنه يريد كذا ولا يريد كذا بناءً على طبعه، لم يهتم بتهذيب هذه النفس وتزكيتها بما بُعث به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فهذا القلب الذي لم يولد على درجات؛ منه من مات جنينًا قبل أن يولد حين نشأ على الكفر، وظل عليه، ولم يعرف للحياة معنىً، ولم يشم نفسًا من أنفاس هذه الحياة، والنسبة بين بطن الأم والحياة الواسعة هي كالنسبة بين حال قلب المؤمن الذي تخلص من الظلمات، وبين حال قلب الفاجر الذي لم يولد قلبه بعد.

حال المؤمن الذي خرج إلى هذه الحياة الحقيقية فأدرك معني الوجود، وأدرك ما أخبرنا الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - به، ونمى قلبه واتسع للإدراكات والإرادات العظيمة حاله أعظم من حال الطفل الذي خرج من بطن أمه إلى الحياة؛ لأنه تخلص من أسر الشهوات ومن أسر العادات والتقاليد، ومن حبس طباع النفس، تخلص من ذلك كله وانطلق!.

فهلا انطلقت؟!

فهلا انطلقت؟ وهلا جربت؟ أم أنك مازلت حبيسًا لهذه الظلمات الثلاث؟.

ورد في قوله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾ [الأحزاب: ٦].

في قراءة أُبَيّ: [**وهو أب لهم**].

والحقيقة أن هذه القراءة كالتفسير للقراءة الثابتة التي في المصحف وهي قوله عز وجل: ﴿ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾، فإنما صارت أزواج النبي ﷺ أمهات للمؤمنين لأبوته عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

والنبي ﷺ والد بالمعنى من جهة أنه به ولدت قلوب المؤمنين من الظلمات إلى النور، وخرجت من الشرك والجهل والظلم إلى فضاء وسعة التوحيد والإيمان والعدل والعلم بفضل الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [الجمعة:٢]، فكل آية من آيات الكتاب يحيا بها المؤمن؛ لأنه يدرك ما لم يكن يدركه، ويحس ويريد بناءً عليها ما لم يكن يحسه ويريده.

وقارن بين إرادات إنسان همه في الدنيا أن يشرب المخدرات أو أن يشرب السيجارة أو أن يفعل الفاحشة أو أن يأخذ المال قهرًا وظلمًا أو أن يظلم غيره ويعذبه ويهينه ويذله ويتكبر عليه ويسب هذا ويضرب هذا ويسفك دم هذا فيعيش أسوأ حياة؛ معذبًا شقيًا جبارًا عصيًا.

قارن بينه وبين حال الذي إذا أتى ليله خلا بربه سبحانه يتلو آياته ويستحضر بداية هذا الإنسان ونهايته وبداية هذا الوجود ونهايته.

يتذكر موقفه بين يدي الله ويتأمل ملك الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن

يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير، يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ويرزق من يشاء بغير حساب، يشهده يغفر ذنوبًا ويفرج كروبًا ويعز ذليلًا ويذل عزيزًا، يعطي ويمنع، يخفض ويرفع، يضر وينفع، يمن على من يشاء بفضله ويحجب عمن يشاء عطاءه، يفعل ما يشاء، لا رادَّ لأمره ولا معقب لحكمه سبحانه وبحمده، استحق كل صفات الكمال وهو يفعل في الكون ما يريد بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العلا.

ويتحرك قلبه فان الحي يتحرك، ومن علامات حياته الحركة فيتحرك القلب إلى الله - عز وجل - يريده، يحبه، يرغب فيما عنده، يتقرب إليه وبقية حياته في ظل الشرع، يلتزم الحلال ويجتنب الحرام، يبحث عما يرضي الله فيفعله، وعما يكرهه الله ويسخطه فيتركه، يبحث عن سنة رسول الله ﷺ يتعلمها ويطبقها ويدعو الناس إليها، ويصبر على أذاهم ويتحمل في سبيل الله - عز وجل - وهو قائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، راكع ساجد، يعرف حق ربه، ذاكر

الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، صابر قانت، مسلم مؤمن محسن، تجده في تعامله مع الناس راحة للعباد، إذا قابله أحد سعد برؤيته وارتاح، وسكن قلبه واطمأن وتذكر ربه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فانفتح لقلبه أبواب الخير وإن كان وجود مثل هذا في العالم من بعد الأنبياء ندرة، لكن لا يزال طائفة منهم على الحق ظاهرين.

تأمل وتدبر في صفات الصالحين فان سيرة الصالحين قد تغنيك إن لم تجد أمامك من تراه بهذه الصفات، وإن لم تصحب في حياتك أحدًا منهم لكنك تصحبهم على صفحات الكتب وفي سيرهم الطيبة ويكفيك مذكرًا بصفاتهم ما قصه الله - عز وجل - عليك في القرآن ليحيا به قلبك.

قارن بين الحالين، وتأمل بين حال من يسجد لغير الله ويعبد غير الله ويخاف غير الله وبين من يتوكل على الله وحده ويرجوه وحده ويخافه وحده تجد أنه كما قال الله فرق بين الموت والحياة ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، فهذه هي الحياة.

فلابد إذن أن تكون متحركًا متقربًا كل يوم لو توقفت فأنت مريض، ولو كنت تنقص فأنت في مرض خطير لابد أن تدرك نفسك لابد أن تسعى إلى صلاحها، لابد أن تداوي أمراضها.

* * *

ما بالك لا تشعر بالألم؟!

علامة الحي أنه يشعر بالألم - ألم البعد عن الله - فأنت إذا أوجعك حلقك ذهبت إلى الطبيب، وإذا ارتفعت حرارتك درجة أو درجتين بحثت عن العلاج والدواء.

وأما إذا تعذب قلبك بالبعد عن الله فأنت نائم لا تبحث وأنت لا تشعر ولا تدرك، إن هذه غيبوبة بالقلب توشك أن تنتهي بالموت إن لم تستدرك، وكم من الناس ماتت قلوبهم وهم يذهبون ويجيئون ولا يشعرون بل عامة العالم قد ماتت قلوبهم أو ماتت قبل أن تُولد، لم تولد أصلًا، لم تعرف حقيقة الحياة، فإنما يولد الإنسان بولادة قلبه كما ورد عن المسيح في نفس معنى أن النبي أبٌ للمؤمنين قال: **«إنكم لن تلجوا**

ملكوت السماء حتى تولدوا مرتين». وكثير من الناس يتعجب كيف يولد الرجل الكبير وكيف يولد الإنسان مرتين وقد خرجنا من بطون أمهاتنا فلا ولادة أخرى.

الولادة الثانية هي الولادة للقلوب من بطن الشهوات والتقاليد والطباع الإنسانية السيئة من الجهل والظلم، يتخلص الإنسان من ذلك، فيخرج فيجد هناك دنيا جديدة وحياة أخرى لم يكن يراها ولم يكن يسمع بها، يجد لذات أعظم بكثير من اللذات التي وجدها الطفل حين خرج إلى الحياة وحين نما وكبر فوجد لذة الطعام ولذة الشراب ولذة الجنس بعد ذلك إذا بلغ، ولذة التملك ولذة الملك والرياسة ولذات كثيرة لكنها في الحقيقة عوارٍ زائلة.

لذة الإيمان

أما لذة الحب والخوف والرجاء والصبر والرضا والتوكل على الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - والسجود والراحة في الصلاة **«أرحنا بها يا بلال»**، **«وجعلت قرة عيني في الصلاة»**، ولذة الطهارة والنقاء والصفاء والنور والهدى

والقنوت هذه لذات باقية، عجيب شأنها، إذا مات الإنسان بقيت، ولذا كان من السلف من همه في الدنيا أن يُرْزَق الصلاة في قبره يقول ثابت البناني: «**اللهم إن أذنت لأحد أن يصلي في قبره فأذن لي**»، فانظر إلى العجب العُجاب وقارن بين صلاة من يصلي يريد الانتهاء منها وبين من يصلي وهي لذته في الحياة إنما يطمع أن يجدها في قبره، وقد رأى النبي ﷺ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يصلي في قبره وكما ثبت في الحديث أن الملكين يقعدان الميت وقد مثلت له الشمس عند الغروب يقول المؤمن: دعاني حتى أصلي فيقول الملكان: إنك ستفعل ولكن أخبرنا من ربك وما دينك وما تقول في الرجل الذي بعث فيكم أو كما قال ﷺ، فثبت أن المؤمن سيصلي في قبره وهكذا تكون الحياة.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾

[الأنعام: ١٢٢]

***



تفسير الظلمات

فهذه الظلمات ذكرها الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - في قوله - عز وجل -: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾

[النور: ٣٩-٤٠]

انظر إلى سواد البحر في ظلمة الليل لتعرف حقيقة هذا المثل وتخيل ما في باطن البحر من ظلمات أشد، وهي في النهار ظلمات.

وإن طبقات الموج بعضها فوق بعض تجعل أسافل الماء مظلمًا تمامًا، لا يصل إليه نور الشمس التي ملأت الدنيا ضياءً، ولكن ظلمات الأمواج التي بعضها فوق بعض تجعل النور لا يصل إلى قاع البحر، وقاع البحر مظلم، ولذا تراه أزرق شديد الزرقة، وكلما ازداد العمق ازدادت الزرقة،

الزرقة التي نراها في البحر بعض الضوء على الطبقات العليا، أما في الأسفل فهي ظلمات حالكة.

فانظر إلى رجل أعمى أو رجل في هذه الظلمات في ظلمة ليل بهيم لتعرف كم ظلمات الكفر وكم ظلمات الظلم - الظلم ظلمات يوم القيامة - والجهل والضلالات والخرافات والخزعبلات التي يعيش فيها الكثير من الناس، عقائدهم ممتزجة كل ذلك بعضه ببعض، إذا أردت أن تدرك هذه الأمور فتأمل هذا المثل وانظر إلى ظلمة البحر الذي لا ضوء فيه، خصوصًا إذا كان في وسط البحر بعيدًا عن المدن يكون المصباح الصغير فيه نور شديد يُرى من مسافات بعيدة؛ لكنه لا يضيء في النهاية لمن هو غارق في الظلمات، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ليس فقط كاد لا يراها بل لم يكد يراها لم يقترب من رؤيتها لأنه لا يرى شيئًا على الإطلاق فهذا الذي ضل في عقيدته وتصوره عن الحياة وعاش في الدنيا لا يعرف عنها شيئًا. ﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ ليس ظلمة واحدة بل ظلمات كثيرة.

كل بُعدٍ عن شرع الله وعن الإيمان وعن العبادة وعن الأخلاق السوية وعن الحلال ظلمات، كل بُعد ظلمة وكل معصية ظلمة وكل نفاق ظلمة وكل أخلاق سيئة ظلمة وكل فسق ظلمة، ظلمات متفاوتة ونعوذ بالله.

وهناك من حكم الله أن يظل في هذه الظلمات إلى أن يموت ثم يدركه بعد ذلك ظلمة القبر.

هل فكرت أن تنظر في قبر لترى كم هو مظلم؟!

جرِّب مرة من مرات الجنائز التي تذهب إليها ألا تكون مجاملة للميت أو لأهل الميت، في الحقيقة أكثرنا يحضر الجنازات مجاملة لأن فلانًا قد مات له قريب فنذهب لنعزيه وأما أن نذهب متعظين فهذا قليل، جرِّب مرة أن تقترب من القبر من الفتحة الضيقة وإذا دخلت في هذا القبر مرة فستدرك كم هو مظلم وضيق! وكم هو موحش! وكم هو مؤلم للإنسان أن يبقى فيه لحظات معدودة! لن تقوى على البقاء فيه خمس دقائق وستريد الخروج مباشرة، وستعرف أن الفتحة

الضيقة تُدخل نورًا لا يُضيء ذلك القبر فكيف إذا سُدَّ ولا هواء ولا نفس ولا شيء غير الحر والضيق نسأل الله العافية.

حر شديد وضيق شديد، الناس إذا أُغلقت عليهم حجرة واسعة شعروا بالحر، فكيف بالقبر يا عبد الله؟

ظلمات متتابعة يخرج من ظلمات الدنيا إلى ظلمات القبر إلى ظلمات يوم القيامة، ظلمات فظيعة فكيف بمن يكون فيها أعمى؛ يحشر أعمى وقد كان بصيرًا جزاءً بما أتته آيات الله فنسيها وكذلك اليوم يُنسى.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦].

ينساه الله أي يتركه من رحمته يُعامل معاملة من تُرك بالكلية لا أمل له ولا نجاة وأما جهنم فسوداء مظلمة لا ضوء فيها على الإطلاق، سوداء مظلمة إنما يرون الآلام والعذاب.



تخيل هذا الأمر وتصوره لو أن إنسانًا وضع في توابيت مغلقة، العذاب يأتيه من كل مكان وهو أعمى وأصم، وإنما يجد العذاب فقط ولا يجد أملًا في الخروج وجهنم مؤصدة عليه مغلقة ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾ [الهمزة: ٨]، وراء هذه الأبواب المغلقة المؤصدة عمد ممددة، أعمدة لا يمكن أن تنقل عن أماكنها فلا أمل في فتح هذه الأبواب نعوذ بالله من ذلك تأمل ذلك وتفكر فيه فإنه ليس ببعيد.

وإن الحساب قريب والموت قريب وكل يوم نشيع واحدًا كان معنا إلى هذا المآل والمصير فمن استيقظ فقد أبصر ومن ظل في نومه وغفلته فليحذر على نفسه إن لم يستيقظ وإن لم يحيا قبل الموت.

نسأل الله عز وجل أن يحيي قلوبنا بذكره وأن ينعم علينا بحبه وأن يذيقنا نعيم قربه.

* * *

العجب العُجاب

والعجب في هذه المسألة؛ مسألة الموت والحياة للقلوب أن الناس لا يشعرون بذلك غالبًا إلا من كان حيًا وأكثرهم يموت قلبه وهو يرى نفسه ينعم بالحياة مع أنه يتألم آلامًا لا تحصى، كل يوم يتعذب ويعذب من حوله وهو في ذلك كلِه يرى نفسه في أمثل طريقة من الحياة تأمل قول قوم فرعون: ﴿ وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ ﴾ [طـه: ٦٣]، يرون حياتهم هذه العجيبة التي يعيشون فيها عبيدًا لفرعون ذليلين له يبنون له الصرح العالي بلا فائدة لمجرد أن يصعد فوقه ويقول نظرت في السماء فلم أجد إله موسى.

انظر كم استغرق بناء الصرح الذي بناه الفراعنة، مثل هذه البنايات التي بنوها كالأهرام بنوها لتكون قبرًا لفرعون لتكون مستقرًا لهذا الرجل الذي كان يحكمهم، كل منهم يبني هرمًا لماذا؟ ليكون قبرًا له.

أيحتاج القبر إلى كل ذلك؟ فسبحان الله! عاشوا حياة عجيبة، عندما أمرهم أن يدخلوا إلى البحر المفتوح أمامهم



بضربة من عصا موسى ورأوا جميعًا ذلك فدخلوا وراءه وغرقوا معه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٤]، ومع ذلك يرون حياتهم أمثل حياة، كهؤلاء الأوربيين والشيوعيين وسائر الكفرة في المشارق والمغارب يعبدون الأصنام والصلبان والأبقار والفروج ويعبدون القردة والحشرات، والله لقد أخبرني بعض من زار بلاد الهند أن هناك من يعبد هذه الأشياء، فكل بلد ربما فيها مئات وآلاف الآلهة والناس يرون حياتهم حياة سعيدة مع أنهم يعذبون عذابًا لا يوصف، وهكذا تجد الألم من وراء البسمات، تجد العذاب من وراء الضحكات، أنت تراهم إذا كنت قد رأيتهم قبل ذلك في أفلامهم وتمثيلياتهم التي يعرضون فيها على الناس يعرضون قذارتهم وسخافاتهم وضلالاتهم على الناس لا يعرفون إلا القتل والسرقة والجنس والمخدرات هكذا تدور حياتهم على ما يعرضون كما تأتي به الأفلام من الخارج، وكما تفضحهم مواقعهم الإباحية التي أظهروها على الشبكة العنكبوتية للمعلومات وغيرها وقنواتهم الفضائية تجد والله عجبًا، الحمد لله الذي عافاك من

النظر إلى ذلك، لكن قد تقع عينك من غير قصد منك على شيء من ذلك فترى عجبًا ترى حياة لا تتصور، تتأمل فتقول لا يمكن إلا أن يكون تزيينًا ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢].

لولا أن الله حَسَّنَ ذلك في قلوبهم وهم يتعذبون، يتعذبون بلا شك ولا تردد لأنهم بعُدوا عن الدين لا يعرفون من الحياة إلا اللهو واللعب كالأطفال الصغار، وأقبح منهم كبارهم - رؤساء الكفر - فيهم الذين لا يريدون من الدنيا إلا العلو والفساد في الأرض، ونشر الكفر في العالم والصد عن سبيل الله، والطعن في الرسل الكرام، والطعن في ذات الرب - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ومُنَازَعَته وَرَدَّ شرعه ويرونها رسالة في الحياة، انظر إلى قادتهم وهم يخطبون أو يقولون كلماتهم في الحرب ضد الإسلام وانظر إلى عذاب جنودهم في مشارق الأرض ومغاربها يسعون لنشر الكفر ومحاربة الدين وفرض نمط الحياة المثلى في نظرهم التي هي أسفل سافلين في حقيقة الأمر لا يعرفون إلا ما فضحوا أنفسهم به عندما فعلوا في السجون وفي البلاد التي دخلوها ما فعلوا، ينظر الإنسان

فيرى أحوالا ليست إنسانية بل ليست حيوانية، والله ليست إلا شيطانية.

الحيوانات أكرم منهم ما فعلت الحيوانات ما فعلو، هي فعلًا ليست كحياة الحيوانات كما قال الله عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾

[الأعراف: ١٧٩]

كالأنعام في رغباتهم وشهواتهم وأضل في عقائدهم وتصوراتهم وإراداتهم، فالحيوانات ليس عندها ذلك الكبر والعلو الذي عند هؤلاء القوم، إنما هي الأحقاد والحسد والبغضاء والكراهية والعذاب الذي يعيشون فيه حتى زُين لهم الموت على أنه الحياة وزُينت لهم الظلمات على أنها النور كما زُين لهم أكل الميتة وأكل ما أُهل به لغير الله وترك شرع الله زُين لهم ذلك أنه حسن فقال عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وكما فُعل بمن مضى ذلك كذلك زُين لكافري كل زمان ما كانوا يعملون.

وبناء الفعل للمجهول [زين] من تعليمنا التأدب مع الله عز وجل فهو الذي زين - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - خلقًا وإيجادًا، ولكن ذكر ذلك - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بصيغة البناء للمجهول حتى لا يحتج الكفار بالقدر، وإن كان قد ذكر ذلك بيانًا لحقيقة الأمر في موضع آخر ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام:١٠٨].

لكن قال هنا ﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ليبين سوء فعلهم هم، فهم يعملون، هم الذين كفروا ﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهو - سبحانه - الذي جعلهم كذلك كما قال عقبها مباشرة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

فهم أجرموا ومكروا وردُّوا شرع الله وحقدوا وحسدوا رسل الله وأبغضوا الحق الذي جاءت به الرسل فكان هذا الذي وقع لهم عقوبة فالتزيين من الله عز وجل عقوبة من الله لعبده على بُعده عن شرعه، وعلى إعراضه عن الحق أول ما جاءه، والشيطان أيضا يزين، ومن ضمن تزيين الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لكل أمة ما كانوا يعملون أنه يتركهم للشياطين

تتسلط عليهم وتركب فوقهم ويعذبونهم أنواع العذاب.

تخيل إنسانًا أسيرًا عند عدوه الذي يكرهه غاية الكراهية، أنبأ عن نفسه عندما قال ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣)﴾ [ص: ٨٢- ٨٣].

وقال ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٦- ١٧].

عدو تسلط على أسير أسره فركبه ويضربه كل يوم آلاف الجلدات وكل يوم آلاف الآلام يتألم الكافر ببعده عن الله بوسوسة الشيطان بإضلال الشيطان ولا يسقيه ولا يطعمه ولا حتى يتركه يتنفس تخيل إنسانًا كهذا تسلط عليه عدوه، وأعمى بصره ووضع يده على عينه وقال اعمل ما أقول لك فسار يقوده إلى الجحيم ويقول له قع فيها تقدم إلى النار فيقع والعياذ بالله، تخيل هذه الصورة لتعلم حقيقة أكثر من حولك من البشر، تسعمائة وتسعة وتسعون من كل ألف هكذا حالهم ركبتهم الشياطين تقودهم إلى النار وهم يسيرون؛ أعمى الشيطان أبصارهم ووضع يده على تلك البصائر وقال أمامك جنان واسعة وأنت ترى أنه يقوده إلى



حفرة عميقة من النار ويضربه ويؤذيه ويعذبه ويهينه ويذله ويجعله عاريًا كما كان لا ستر من لباس التقوى؛ فالإنسان بلا تقوى كإنسان عارٍ لا شيء يستر جهله وظلمه لا شيء يستر عورته الباطنة كإنسان لم يستر عورته الظاهرة، فتخيل هذه الحياة وتعجب منها وقد كشف الشيطان عن عوراتهم الظاهرة والباطنة فتركهم يتمتعون كما يظنون بالعري والفساد، عري باطن وعري ظاهر ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢]، ومن هنا كان لا منافاة بين قوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام: ٤٣] وبين قوله ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، فالله خلق ذلك في قلوبهم وجعل الشياطين تضلهم عدلًا منه لأنهم اختاروا الشيطان، ووضح لهم الحق فأعرضوا، وبان لهم الصراط المستقيم فتركوا والتزموا الباطل الذي علموا أنه باطل فَحسَّنه الله في قلوبهم ورأوا أنه أحسن الحسن والطريقة المثلى في الحياة فتكبروا في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلى الله لا يرجعون.

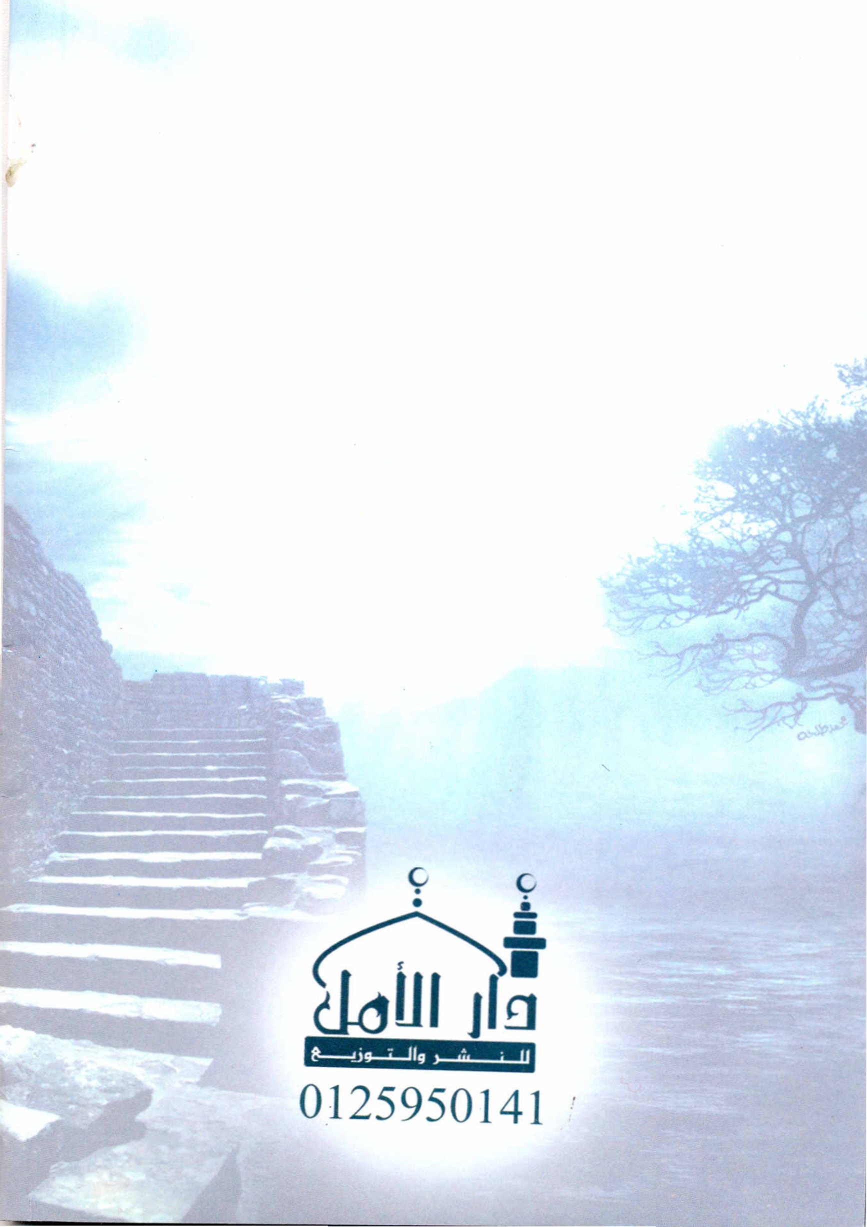
نعوذ بالله من حالهم، ونسأل الله أن يَمُنَّ علينا بالحياة بكتابه ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

[الشورى: ٥٢ - ٥٣].

***

الفِهرس

تم بحمد الله



دار الأمل
للنشر والتوزيع
0125950141